بمـا خبَّـرتِنـا مـن قـول قِـسٍّ ... من الرهبان أكره أن... يعوجا
بـأن محمـداً سيسـودُ قـومـاً ... ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهـرُ فـي البـلاد ضيـاء نـور ... يقـوم بـه البـريـة أن تمـوجـا
فيلقـى مـن يحـاربُـه خسـاراً ... ويلقـى مـن يسـالمُـهُ فلـوجـا[1]
فيـا ليتنـي إذا مـا كـان ذاكـم ... شهـدتُ وكنـت أوَّلهـم ولـوجـا
ولوجاً في الذي كرهت قريشٌ ... ولـو عجَّـت بمكَّتهـا عجيجـا
أرجّي في الذي كرهوا جميعاً ... إلى ذي العرش إن سفلوا عُروجا
وهـل أمـر السفـالـة غيـر كفـرٍ ... بمن يختارُ من سَمَكَ البروجا
فـإن يبقـوا وأبقـى يكـن أمـورٌ ... يضـجُّ الكـافـرون لهـا ضجيجـا
وإن أهلـك فكـلُّ فتـى سيلقـى ... مـن الأقـدار متلفـة خـروجـا[2]

* * *

لو فكّر الناس فيما في بطونهم!!

قال العلامة الماوردي رحمه الله :

لو تصوَّر المتكبِّر ما فُطِرَ عليه من جِبلَّة ، وبُلي به من مهنة ، لخفض جناح نفسه ، واستبدل ليناً من عتوِّه ، وسكوتاً من نفوره ، لذا قال الأحنف بن قيس :

عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر ؟!

---

(١) الفلوج : الظفر والفوز والنصر .
(٢) من البداية والنهاية : ٢/ ٢٧٥ .

يا مُظهر الكبر إعجاباً بصورته انظر خلاك فإن النتن تثريب
لو فكَّر الناس فيما في بطونهم ما استشعر الكبر شبّان ولا شيب
يا بن التراب ومأكول التراب غداً أقصر فإنك مأكولٌ ومشروب

وهذا هو رسول الله ﷺ بين أصحابه ، فيدخل عليه رجل ، فتصيبه رعدة وخوف من هيبة المصطفى صلوات الله عليه فيقول له مطمئناً :

« هوِّن عليك ، فإنما أنا ابن امرأةٍ من قريش كانت تأكل القديد »[1] .

إذاً لماذا يتكبَّر المتكبرون ؟ لماذا لا يتواضعون ؟ أو نسي كل واحد منهم أصله ؟

نسي الطين ساعةً أنه طينٌ حقيرٌ فصال تيهاً وعربدْ
وكسا الخزُّ جسمه فتباهى وحوى المال كيسه فتمرَّدْ
يا أخي لا تُمل بوجهك عنِّي ما أنا فحمةٌ ولا أنت فرقدْ
أأمانيٌّ كلها من ترابٍ وأمانيُّكَ كلها من عسجدْ ؟
وأمانيَّ كلها للتلاشي وأمانيكَ للخلود المؤكَّدْ ؟
أدموعي خلٌّ ودمعكَ شهدٌ ؟ وبكائي ذلٌّ ونوحك سؤددْ ؟
أنت مثلي من الثرى وإليه فلماذا يا صاحبي التِّيه والصدّ ؟
أفتدري ؟ إذن فخبِّر وإلاّ فلماذا تظن (أنَّك أوحد ؟ ؟)

لذلك نجد القرآن الكريم يشنُّ حملةً قوية على جميع أصناف الكبر ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر : ٣٥] .

---

(١) رواه الحاكم ، وابن ماجه ، والقديد : هو اللحم الجاف (المقدَّد) .

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٠] .

﴿ فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [النحل : ٢٩] .

﴿ فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾

[الأحقاف : ٢٠] .

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [فصلت : ١٥] .

* * *

في دفع فضول الفرح :

قال العلامة ابن الجوزي[1] رحمه الله :

إذا اشتدَّ الفرح التهب الدم ، وذلك يضرُّ ، وربما قتل إن لم يعدل ، وينبغي للإنسان إذا رأى أسباب الفرح ، أن يدرج نفسه إليه ، فإن يوسف عليه السلام لمّا التقى بأخيه سأله : هل لك من أب ؟

ولم يزل يلاطفه لئلا يفاجئه بالسبب المفرح ، والفرح ينبغي أن يكون بمقدار ليعدل الحزن ، فأما إذا أفرط ، فإنه دليل على الغفلة القزيَّة ، إذ لا وجه للفرح عند العاقل ، فإنما يفرح بالطبع لما يُفرح ، ثم يذكر مصيره وخوف مآله ، فينمحي ذلك الفرح ، ومتى قويت غفلة الروح ، حملت إلى الأشر والبطر ، ومن ذلك قول الله تعالى :

---

(١) هو عبد الرحمن بن علي محمد الجوزي ، أبو الفرج ، نسبته إلى محلّة الجوزة بالبصرة ، كان بها أجداده ، قرشي يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق ، من أهل بغداد ، حنبلي ، علاّمة عصره في الفقه والتاريخ والحديث والأدب ، اشتهر بوعظه المؤثر ، وكان الخليفة يحضر مجلسه ، أكثر من التصنيف ، ولد عام (٥٠٨ هـ) وتوفي عام (٥٩٧ هـ) .

من تصانيفه : تلبيس إبليس ، والضعفاء والمتروكون ، والموضوعات وغيرها .